مجلة البحث العلمي الإسلامي

Journal of Islamic Scientific Research

(JOISR)

مجلة إسلامية علمية محكمة

تعنى بالبحوث والدراسات الإسلامية

ISSN: 2708-1796 (ردمد النسخة المطبوعة)

E-ISSN: 2708-180X (ردمد النسخة الإلكترونية)

السنة الثانية والعشرون – العدد 75 – 30-11-2025م

Volume 22 - issue no. 75 - 30/11/2025

الصفحات: 103 - 132 Pages: 103 - 132

# الاستنباطات التي انفرد بها البقاعي في كتابه (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور)

## دراسة استقرائية تحليلية مقارنة من بداية سورة الفاتحة حتى نهاية سورة التوبة

# The Inferences Unique to Al-Biqāʿī in His Book Naẓm al-Durar fī Tanāsub al-Āyāt wa al-Suwar: An Inductive, Analytical, and Comparative Study from the Beginning of Sūrat al-Fātiḥah to the End of Sūrat al-Tawbah.

**محمد الأمين سيسي**

Mohamed El-Amin Sissi

باحث دكتوراه

كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

Phd researcher

College of the quran and Islamic studies Islamic university of Madinah

Email: sisseamine@gmail.com

تاريخ الاستلام – 2025/08/10 Date of Receipt -

تاريخ القبول - 2025/08/19 Date of Acceptance -

اعتمادات

**الباحث: محمد الأمين سيسي**
باحث دكتوراه
كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية – الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

***The Researcher: Mohamed El-Amin Sissi***
Phd researcher
College of the quran and Islamic studies - Islamic university of madinah
sisseamine@gmail.com

# الاستنباطات التي انفرد بها البقاعي في كتابه (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) دراسة استقرائية تحليلية مقارنة من بداية سورة الفاتحة حتى نهاية سورة التوبة.

# The Inferences Unique to Al-Biqai in His Book Nazm al-Durar fi Tanasub al-Ayat wa al-Suwar: An Inductive, Analytical, and Comparative Study from the Beginning of Sūrat al-Fatihah to the End of Surat al-Tawbah.

تاريخ الاستلام: ٢٠٢٥/٨/١٠ / تاريخ القبول: ٢٠٢٥/٨/١٩

**ملخص البحث**

يعالج هذا البحث الاستنباطات التي انفرد بها البقاعي في تفسيره «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور» وذلك من خلال دراسة استقرائية تحليلية مقارنة، وانتقيت بعضها، تهدف إلى الكشف عن منهج البقاعي في الاستنباط، وبيان تميّز استنتاجاته عن غيره من المفسرين، وتتبع أصولها، وبيان ثمرتها العلمية والتربوية والبلاغية والفقهية.

وقد تضمن البحث مقدمة ومبحثين ثم الخاتمة:

المقدمة: عرضت أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وحدود البحث، وأهدافه ومنهجه، وخطته العامة.

المبحث الأول: تناول ترجمة موجزة للبقاعي، والتعرف بكتابه «نظم الدرر» ومنهجه في تفسيره عمومًا، ومنهجه في الاستنباط خصوصًا، مع الإشارة إلى أثر التناسب في توليد المعاني

والاستنباط.

المبحث الثاني: وفيه ما تيسر من الاستنباطات التي انفرد بها البقاعي من الفاتحة إلى التوبة، مع تحليلها من جهة وجه الاستنباط ومقارنته بالمفسرين السابقين له.

الخاتمة: أبرزت أن البقاعي رحمه الله تعالى تميز بمنهج دقيق في الاستنباط قائم على التناسب بين الآيات والسور، وأن استنباطاته ذات طابع شمولي تجمع بين البلاغة والتربية والفقه والعقيدة.

**الكلمات المفتاحية:**

الاستنباط، إبراهيم بن عمر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، الآيات والسور، سورة الفاتحة، سورة التوبة.

**Abstract:**

This study addresses the inferences uniquely made by Imam Ibrahim al-Biqai in his exegesis Naẓm al-Durar fi Tanasub al-Ayat wa al-Suwar from Surat al-Fatihah to the end of Sūrat al-Tawbah, through an inductive, analytical, and comparative approach. It aims to uncover al-Biqai's methodology in inference, highlight the distinctiveness of his conclusions compared to other exegetes, trace their origins, and elucidate their scholarly, educational, rhetorical, and jurisprudential value.

The research consists of an introduction, a prelude, and two main sections:

Introduction: Presents the importance of the topic, the reasons for its selection, the research scope, objectives, methodology, and overall structure.

Prelude: Provides a brief biography of al-Biqai, an introduction to his work Naẓm al-Durar, his general method of exegesis, and his specific approach to inference, with reference to the role of tanāsub (coherence and interconnection) in generating meanings and inferences.

Section One – Theoretical Study: Establishes a methodological foundation for the concept of inference, its types, fields, and conditions, as well as its relationship to tafsīr and reflection, followed by a presentation of the main criteria for identifying the inferences that are considered unique to al-Biqai.

Section Two – Applied Study: Collects the inferences -where possible- that are unique to al-Biqai from al-Fatihah to al-Tawbah, classifying them into jurisprudential, educational, rhetorical, theological, and other categories. It then analyzes them in terms of the nature and type of inference and compares

them with the interpretations of earlier exegetes.

Conclusion: Highlights the most significant findings of the study, including:

• Al-Biqai's distinction in employing a precise method of inference based on the coherence between verses and surahs.

• His inferences possess a comprehensive character, integrating rhetorical, educational, jurisprudential, and theological dimensions.

**Keywords:**

Inference, Ibrahim ibn umar al-biqai, nazm al-durar fi Tanasub al-Ayat wa-l-suwar (theArrangement of the pearls on the coherence of the verses and the surahs), verses and surahs, surat al- fatihah, surat al- tawbh.

**المقدمة:**

إنّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فقد سخّر الله عز وجل لهذا الكتاب الكريم أئمة مخلصين من علماء هذه الأمة، قاموا على خدمته والعناية به عناية مشهودة عبر تاريخ هذه الأمة العظيمة، فتنوعت مؤلفاتهم في بيان معانيه، واستخراج علومه، واستنباط أسراره وحكمه، حتى تركوا لنا إرثاً علمياً عظيماً يجب على الباحثين الاستفادة منه وتثويره بالبحث والمناقشة، وإبراز مكنوناته.

ومن أولئك العلماء الذين لهم جهد متميز في حقل الدراسات القرآنية: الإمام برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي رحمه الله تعالى، أحد الأعلام الجهابذة الذين تركوا مؤلفات كثيرة تخدم القرآن وعلومه، ومن الاعتناء بالشدات مؤلفاته وأعظمها أثراً، كتابه: (نظم الدرر في تناسب الآي والسور)، هذا الكتاب البديع الفريد، الذي اهتم به العلماء، واحتفوا بما أُودع فيه من دقائق العلوم البيانية والفرائد العلمية اللطيفة، وبرز أثره في مؤلفات التفسير التي جاءت بعده، بل عُدَّ الكتاب الأهم في علم المناسبات الذي عليه المعول في هذا الباب، ومع ذلك ففي هذا الكتاب جوانب علمية أخرى تميز بها، إلا أنها لم تحظ بالإبراز والإظهار كما ينبغي لها أن تكون.

فاستعنت الله تعالى، وسبرت الموضوع، فإذا هو جدير بالدراسة؛ لما وجدت عند البقاعي رحمه الله من استنباطات دقيقة، ولطائف جميلة، ومنها استنباطات متميزة انفرد بها؛ فأحببت أن أدرس هذا الموضوع من خلال كتابه رحمه الله تعالى، تحت عنوان: (استنباطات التي انفرد بها البقاعي في كتابه نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دراسة استقرائية تحليلية مقارنة من بداية سورة الفاتحة حتى نهاية سورة التوبة).

فـإن كتـاب «نظم الدرر في تناسـب الآيات والسـور» للإمام برهان الديـن البقاعي يُعدّ من أبـرز المؤلفات التي كشفت عن الإعجـاز البياني والتناسب الموضوعي فـي القرآن الكريم، حيث تميـز البقاعي بمنهج فريد في استنباط أوجه الاتصال بين الآيات والسور، مُبرزًا وحدة الموضوع وانسجام المعاني في كتاب الله تعالى.

لقد انفرد البقاعي[1] رحمه الله تعالى في هذا الكتاب بعدة استنباطات دقيقة، تجلّت في:

١. الكشـف عن المناسبات الخفية: فقد ربط بين الآيات بعلاقات منطقية عميقة، سواء في السياق اللغوي أو المقصدي، مما يُظهر تماسك النص القرآني.

٢. تحليـل الوحـدة الموضوعيـة للسور: حيث بيّـن أن كل سورة تشكل نسقًـا متكاملاً، يجمع أجزاءها غرض أساسي، كسورة البقرة التي أرجعها إلى «استخلاف الإنسان في الأرض».

٣. الربـط بيـن افتتاحيات السور وخواتيمهـا: موضحًا كيف تُشكل الخاتمـة امتدادًا طبيعيًا للمقدمة، كما في سورة الفاتحة التي خُتمت بطلب الهداية بعد افتتاحها بالحمد.

٤. الاهتمـام بالسياق التاريخي والنزول: دون إغفال للبعد البلاغي، مما أعطى تفسيره بعدًا شموليًا يجمع بين التناسب الظاهري والمعنوي.

إن هـذه الاستنباطـات تجعـل من كتـاب البقاعي رحمـه الله تعالى مرجعًـا لا غنى عنه في الدراسـات القرآنية، خاصة في علم التناسب القرآني، الـذي يُظهر روعة القرآن وإعجازه ككتاب متكامـ لا تناقض فيه.

نسـأل الله أن ينفعنا بما علمنا، ويجعلنا من أهل القرآن الذين يتلونه حق تلاوته، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

(١)

**أهمية الموضوع:**

إبـراز دور البقاعـي رحمـه الله تعالى في تطوير منهـج الاستنباط من خـلال التناسب بين الآيات والسور.

**أسباب اختيار الموضوع:**

ندرة الدراسات المتخصصة في هذا الجانب الدقيق، وثراء كتاب نظم الدرر بالاستنباطات التربوية والفقهية والبلاغية.

**أهداف البحث:**

١-حصر أبرز الاستنباطات التي انفرد بها البقاعي رحمه الله تعالى.

٢-بيان المنهج الذي سلكه في الاستنباط.

٣-تحليل نوعية هذه الاستنباطات وموضوعاتها.

٤-مقارنة ما انفرد به البقاعي رحمه الله تعالى بجهود المفسرين قبله.

**حدود البحث**

دراسة استنباطات التي انفرد بها البقاعي رحمه الله تعالى في كتابه (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور)، من بداية سورة الفاتحة حتى نهاية سورة التوبة.

**منهج البحث:**

اتبعت في بحثي المنهج الاستقرائي الوصفي التحليلي والتوثيقي.

أما توثيق المادة العلمية للبحث وفق ما يلي:

كتابة الآيات القرآنية بالرسم العثماني، مع عزوها بذكر السورة ورقم الآية في المتن.

توثيق الأقوال المنقولة عن العلماء بعزوها إلى مصادرها.

ضبط ما يحتاج إلى ضبط، من المشكل، والغريب، والأسماء وغيرها.

الالتزام بعلامات الترقيم وقواعد الإملاء الحديثة.

تذييل البحث بالفهارس العلمية.

**خطة البحث**

تتكون الخطة من: مقدمة ومبحثين ثم الخاتمة فالفهارس.

المقدمـة: تحتوي على أهمية الموضوع، وأسبـاب اختياره، وأهداف البحث، وحدوده، وخطة البحث، ومنهج البحث.

المبحـث الأول: التعريف بالبقاعي وكتابه، ومفهوم الاستنبـاط عنده، والتناسب بين الآيات

السور أثره في الاستنباط، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالبقاعي وكتابه «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور».

المطلب الثاني: مفهوم الاستنباط عنده رحمه الله تعالى.

المطلب الثالث: التناسب بين الآيات والسور وأثره في الاستنباط.

المبحث الثاني: نماذج تطبيقية للاستنباطات المنفردة عند البقاعي من سورة الفاتحة حتى نهاية سورة التوبة، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: سورة الفاتحة والبقرة.

المطلب الثاني: سورة آل عمران والنساء والمائدة والأنعام.

المطلب الثالث: سورة الأعراف والأنفال والتوبة.

الخاتمة:

وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها في هذا البحث.

**المبحث الأول:**

**التعريف بالبقاعي وكتابه، ومفهوم الاستنباط عنده، والتناسب بين الآيات والسور وأثره في الاستنباط، وفيه: ثلاثة مطالب.**

**المطلب الأول: التعريف بالبقاعي وكتابه.**

- ترجمة موجزة للبقاعي رحمه الله تعالى.

هـو إبراهيـم بن عمر بن حسن بن علي بن أبي بكر البقاعي رحمه الله تعالى[١]، ويكنى بأبي الحسن[٢]، ويلقب ببرهان الدين[٣].

ولد سنة تسع وثمانمائة بقرية من بلاد البقاع[٤] [٥]، فقد نشأ وترعرع في أسرة فقيرة الحال فـي قرية خربة روحا[٦] من محافظـة البقاع في لبنان حاليًا، وتعلم القرآن وحفظه في هذه القرية علـى يـد أستاذه أبي الجـواد محمد بن عثمان الخربائـي الشافعي، المتوفي سنـة ٨٥٠ هـ. وصلى البقاعي رحمه الله تعالى بالقرآن في التراويح قبل أن يبلغ الثانية عشرة من عمره[٧].

ولـم يـزل البقاعي رحمه الله تعالى يكابـد الشدائد ويناهد العظائم قبـل رحلته من مصر، وبعـد رحلته إلى دمشق، حتـى وافاه الأجل المحتوم، وتوفاه الله تعالى بعـد أن تفتت كبده كما قيل فـي ليلة السبت ثامن عشر من رجب عـام ٨٨٥ ه الموافق ١٤٨٠م ودفن خارج دمشق من جهة قبر عاتكة[٨].

- التعريف بكتاب نظم الدرر ومنهجه العام[٩].

فالاسـم المعروف هو: نظم الدرر فـي تناسب الآي والسور، ويوجد لهـذا التفسير اسم آخر ذكـره البقاعي رحمه الله تعالى وهو: ترجمـان القرآن ومبدي مناسبات الفرقـان[١٠]، وقد أسماه أيضًا بكتاب (لَمّا) لأنه أكثر من ذكرها فيه[١١].

---

(١) انظر: الأعلام للزركلي (٥٦/١).

(٢) انظر: الأعلام للزركلي (٥٦/١).

(٣) انظر: الأعلام للزركلي (٥٦/١).

(٤) تقع أرض البقاع في لبنان، وهي عبارة عن سهل خصب يمتد بين سلسلتي جبال لبنان الشرقية والغربية، ويحد من الشمال والشرق سوريا، ومن الجنوب جنوب لبنان، ومن الغرب جبل لبنان. انظر: تعريف بالأعلام الواردة في البداية والنهاية لابن كثير (١٢١/١).

(٥) انظر: برهان الدين البقاعي في تفسيره دلالة البرهان القويم (٧).

(٦) تقع جنوب شرق البيرة من البقاع العزيزي. انظر: حاشية المعجم الصغير (١٧).

(٧) انظر: برهان الدين البقاعي في تفسيره دلالة البرهان القويم (١٣).

(٨) انظر: الأعلام (٥٦/١) والبدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (٢١/١) ومعجم حفاظ القرآن عبر التاريخ (٢٦/٢).

(٩) من عندي بعد اطلاع على الكتاب.

(١٠) انظر: نظم الدرر في تناسب الآي والسور (٦٢٠/٨).

(١١) انظر: نظم الدرر في تناسب الآي والسور (٦٢١/٨).

وهـو مـن أجل كتب التفسير التي تكلمت عن التناسب بين الآيات والسور في القرآن الكريم، ولـم يسبق بهـذا كفن، ويُعـد أول تفسير كامل من نوعه يتنـاول تطبيق علم المناسبـة بين الآيات والسور.

وأما منهجه العام فيه: فيتميز بجمعه بين التفسير والربط الموضوعي والتأمل البلاغي، مع تركيـزه الشديد على علم المناسبة بين الآيات والسـور، ويمكن تلخيص معالم منهجه في النقاط الآتية:

**أولاً: المرتكز الأساسي للكتاب: علم التناسب**

جعـل البقاعي رحمه الله تعالى علم التناسب بين الآيات والسور هو المحور الذي تدور حوله تأملاتـه التفسيريـة، ويرى أن كل سورة لها مقصود رئيسـ، وأن كل آية فيها تخدم هذا المقصود بطريقـة منسجمة، ويربط أول السورة بآخرها، وآخر السورة بما بعدها، ويوضح وجه العلاقة بين السور من حيث المقاصد والموضوعات.

**ثانياً: بيان مقاصد السور**

يفتتـح تفسيـر كل سورة ببيان المقصـود الإجمالي للسورة، ويجعلـه مفتاحًا لفهم العلاقات الداخليـة والخارجيـة، ويعتمد علـى استخراج غايات السـور ومقاصدها العامة قبـل الدخول في التفاصيل، وهي طريقة تمهِّد لفهم التناسب.

**ثالثاً: التفسير الموضوعي والتركيبي**

لا يقتصـر على تفسير مفـردات أو جمل، بل يفسـر السورة كوحدة متكاملـة، موضحًا كيف تخـدم كل مجموعة من الآيات غرضًـا من أغراض السورة، ويحرص علـى البناء التركيبي للنص القرآني، ويربط بين أجزائه بطريقة تُظهر اتساقه الكلي.

**رابعاً: الاعتماد على مصادر سابقة وانتقاء الأقوال**

يستفيـد مـن كتب التفسيـر السابقة، مثل: الزمخشـري في «الكشاف» والفخـر الرازي في «التفسيـر الكبير» والبيضاوي والقرطبي وأبي حيان رحمهم الله تعالى، لكنه ينتقي ويقارن ويرجّح بحسب انسجام القول مع مقصود السورة.

**خامساً: توظيف البلاغة واللغة**

يوظـف البلاغـة والنحو والصرف فـي بيان دقة النظـم، وعلاقته بمقاصد السـور، ويعتني بتوجيه الأساليب، وأسرار تقديم وتأخير، والتعريف والتنكير، والالتفات، إلخ.

**سادساً: البعد التربوي والسلوكي**

يستنبط فوائد تربوية وسلوكية من الآيات بما يخدم المقصد العام، ويعرضها أحيانًا بأسلوب

حكمي أو وعظي.

**سابعاً: ذكر الروابط بين السور**

يعقد في نهاية تفسير كل سورة أو في بدايتها فصلاً خاصًا يبين المناسبة بين السورة وما قبلها، ويستدل على الرابط بدلالات لفظية أو معنوية أو موضوعية.

**المطلب الثاني: مفهوم الاستنباط عند البقاعي رحمه الله تعالى**

مفهوم الاستنباط عند البقاعي رحمه الله تعالى في كتابه «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور» يعد من أبرز معالم منهجه التفسيري، ويتميز برؤية شمولية تعتمد على الربط بين أجزاء النص القرآني من خلال التناسب بين الآيات والسور، مع توظيف أدوات متعددة من العلوم الشرعية واللغوية، ويمكن عرض مفهوم الاستنباط عنده من خلال النقاط الآتية:

- تعريف الاستنباط عند البقاعي رحمه الله تعالى

الاستنباط عند البقاعي رحمه الله تعالى هو: استخراج المعاني والمقاصد الشرعية والعقدية والسلوكية من خلال الربط السياقي والموضوعي بين الآيات والسور، بالاعتماد على علوم البلاغة، واللغة، والحديث، وأصول الفقه، وعلم القراءات.

- ملامح منهج الاستنباط عند البقاعي رحمه الله تعالى

١. الاعتماد على التناسب سياقًا وسورةً

يرى البقاعي رحمه الله تعالى أن فهم الآية لا يكتمل إلا بفهم موقعها من السورة، وربطها بما قبلها وما بعدها، ولذلك كثيرًا ما يفتتح تفسيره ببيان وجه الربط بين الآية وما قبلها، أو بين أول السورة وآخرها.

٢. تعدد أنواع الاستنباط

**تشمل استنباطاته:**

١- عقدية: كتأكيد التوحيد في سياق القصص.

٢- فقهية: كما في بعض الأحكام المتعلقة بالأموال أو القتال.

٣- سلوكية/تربوية: مثل تربية النفوس على التوكل، أو الخوف من الله تعالى.

٤- بلاغية: تظهر في تحليل التقديم والتأخير، واختيار الألفاظ، ونظم الجمل.

٣. استخدام أدوات متعددة

يستعين البقاعي رحمه الله تعالى بالحديث النبوي، وأقوال السلف، وعلوم اللغة والبيان.

٤. ربط السور ببعضها

لا يقتصر استنباطه على داخل السورة، بل يربط بين السور أيضًا، ويستخرج من هذا الربط

معاني كلية تدل على وحدة موضوعية.

- نماذج تطبيقية لمفهوم الاستنباط عنده رحمه الله تعالى

١. استنباط من الربط بين آيتين

من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ (الأنفال: ٤٤) استنبط أن ذلك من تمام الحكمة في تسهيل القتال، وأنه يدل على تربية ربانية للطرفين، مما ينبني عليه مقاصد سلوكية وأخلاقية[١].

٢. استنباط من تناسب أول السورة بآخرها

ربط بين أول السورة في وصف المتقين، وآخرها في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ (البقرة: ٢٨٦) ليستنبط أن السورة كلها تدور حول تربية المتقين، وأحكامهم، وتكليفهم بحسب طاقتهم[٢].

- خصائص الاستنباط عند البقاعي رحمه الله تعالى

١-شمولي: يجمع بين التفسير العقدي، واللغوي، والفقهي، والتربوي.

٢-مقاصدي: يربط الأحكام بالمقاصد، ويُبرز الحكمة من التشريعات.

٣-تحليلي: لا يكتفي بالنقل، بل يحلل التركيب اللغوي.

٤-تأصيلي: غالبًا ما يرجع إلى أصول السلف في تفسيره، ويُظهر منهجهم.

٥-تجديدي: يقدم إضافات تفسيرية مبنية على التناسب لم يسبق إليها غالبًا.

- أهمية استنباطه في الدراسات التفسيرية

١-يقدم نموذجًا لفهم القرآن بمنهج تكاملي.

٢-يسهم في إحياء علم التناسب كأداة استنباطية.

٣-يربط التفسير بالمقاصد التربوية والواقعية.

المطلب الثالث: التناسب بين الآيات والسور وأثره في الاستنباط.

يُعد التناسب من القضايا المركزية في علم التفسير، وهو يدل على دقة نظم القرآن، ويرتبط ارتباطًا وثيقًا بالاستنباط التربوي والفقهي والعقدي، ومن أبرز من اعتنى به الإمام إبراهيم البقاعي رحمه الله تعالى في كتابه نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ويمكن تناول الموضوع وفق المحاور الآتية:

- أثر التناسب في الاستنباط

(١) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٣/٢٢٣).

(٢) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١/٥٥٣).

١. استنباط الترابط الموضوعي:

مثل الربط بين ذكر النعمة ووجوب الشكر، أو بين ذكر البلاء ووجوب الصبر.

٢. استنباط أحكام فقهية:

البقاعـي رحمه الله تعالى يربط أحيانًا بين آية حكم وأخرى قبلها أو بعدها لتأكيد الحكم أو تقييده، مثال: ربطه بين آية الربا وآية الإنفاق في سورة البقرة.

٣. استنباط توجيهات سلوكية:

إذا تكرر أمر أو نهي في سياقات متنوعة، يُستنبط منه تأكيد المعنى وأهميته في التربية.

٤. كشف العلل والمقاصد:

التناسب يعين على فهم علل التشريع وأهدافه، مما يُقوي الاستنباط المقاصدي.

- نماذج تطبيقية من البقاعي رحمه الله تعالى

سـورة الأنفال والتوبة: يرى البقاعي رحمه الله تعالى أنهما سورة واحدة من حيث الموضوع؛ حيث تتحدث الأولى عن التمكين الأول (بدر) والثانية عن التمكين الكامل (فتح مكة)، مما يساعد على استنباط أحكام التدرج في الجهاد والدولة[١].

الربـط بيـن أول سورة البقرة وآخرها: استنبط من التناسـب بين الابتداء بالمتقين والختم بالإيمان والتكليف، أن السورة دائرة على بناء الشخصية المؤمنة[٢].

**خلاصة الأثر:**

التناسـب ليس مجرد تجميل بياني، بل هـو: وسيلة لفهم مراد الله تعالى مـن ترتيب السور والآيات، وأداة لاستنباط الأحكام والتوجيهات الدقيقة، ومنطلق للتأمل التربوي والسلوكي.

(١) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٣/٢٦١).

(٢) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١/٥٥٣).

**المبحث الثاني:**

**نماذج تطبيقية للاستنباطات المنفردة عند البقاعي من سورة الفاتحة حتى نهاية سورة التوبة وفيه ثلاثة مطالب**

**المطلب الأول: سورة الفاتحة والبقرة**

قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ (البقرة: ٨)

١-قال البقاعي: رحمه الله تعالى (وفي ذكر قصتهم وتقبيح أحوالهم، تنبيه على وجوب الإخ ص، وحثٌّ على الاجتهاد في الطهارة من الأدناس في سؤال الهداية إلى الصراط المستقيم)[١].

لا يظهر -بحسب تتبّع أقوال كبار المفسرين السابقين- أن أحدًا منهم صرّح بهذا النوع من الاستنباط الذي يربط حال المنافقين في هذه الآية بـ «وجوب الإخلاص» و«الطهارة من الأدناس القلبية» عند سؤال الهداية في الفاتحة.

١. الطبري: ركز على تفسير ظاهر الآية، فبيّن أن هؤلاء هم المنافقون، يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر[٢]، ولم يربط الآية بمسألة الإخ ص أو طلب الهداية في الفاتحة.

٢. الماوردي والرازي: تناولا طبائع النفاق، وأقوالهم تتعلق بتحليل نفسي واجتماعي للمنافقين[٣]، ولم يُستَخرج منه دلالة سلوكية تربط بسؤال الهداية.

٣. القرطبي: اهتم بالأحكام والتفسير البياني، وشرح معنى الإيمان عند المنافقين، وبيّن أنهم كذبة[٤]، لكن لم يتجاوز إلى استنباط مقاصدي من هذا النوع.

٤. الزمخشري: ركّز على الجوانب البلاغية والنحوية[٥]، ولم يُشر إلى دلالة تربوية أو سلوكية متعلقة بالإخلاص أو الطهارة القلبية.

**وجه انفراد البقاعي رحمه الله تعالى**

البقاعي رحمه الله تعالى ينفرد بمنهجه القائم على نظم الدرر، أي أنه لا يفسّر كل آية بمعزل، بل يربطها بـ«مقصد السورة»، وقد ركز في مطلع البقرة على كونها جوابًا لسؤال الهداية في الفاتحة، ولذلك يرى أن ذكر المنافقين مع ما فيهم من الخداع والنفاق تنبيه على خطر عدم

(١) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١/٤٠).
(٢) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١/٢٧٥).
(٣) انظر: النكت والعيون (١/٧٣) والتفسير الكبير (٢/٢٩٩-٣٠٢).
(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١/١٩٢-١٩٥).
(٥) انظر: الكشاف عن حقائق غوامـ ـن التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (١/٥٤-٥٥).

الإخلاص في طلب الهداية، وأن الطهارة القلبية شرط مهم للوصول للصراط المستقيم.

فهو ينظر إلى التناسب بين الفاتحة ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ (الفاتحة: ٦) والبقرة عبر أصناف الناس بالنسبة للهداية، ويفهم أن قصة المنافقين يقصد بها التحذير من فساد القصد.

والبقاعي رحمه الله تعالى انفرد بهذا الاستنباط لأنه يتعامل مع السورة ككلٍّ مترابط، ويربط الآيات بالمقاصد الكبرى، بينما المفسرون قبله غالبًا ما فسّروا الآية في إطارها الجزئي، وهذا من سمات منهج البقاعي التناسبي.

قال الله تعالى: ﴿أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِيۖ قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ (البقرة: ١٣٣)

٢-قال البقاعي: رحمه الله تعالى (وفي ذلك إشارة إلى عدم وجوب التقيد بالآباء، وإرشاد إلى توسيع الفكر إلى المنعم الأول، وهو رب الآباء؛ للتقيد بأوامره والوقوف عند زواجره، سواء كان ذلك موافقاً لشرع الآباء أو مخالفاً[١]).

عند مراجعة تفاسير من سبق البقاعي رحمه الله تعالى، لا نجد هذا المعنى بهذا اللفظ وبهذا الترتيب الاستنباطي، لكن توجد إشارات قريبة منه، أبرزها:

١. الرازي: ركز على إظهار كمال توحيد يعقوب وذريته[٢]، لكن لم يذكر أن في الآية دلالة على التحرر من تقليد الآباء.

٢. الزمخشري: أشار إلى أن سؤال يعقوب عليه السلام لبنيه كان تثبيتًا لهم على العقيدة وتأكيدًا عليها[٣]، دون أن يربط بينه وبين مسألة اتباع الآباء أو مخالفتهم.

٣. القرطبي: ذكر في تفسيره للآية أن فيها دلالة على الوصية عند الموت، والحرص على العقيدة[٤]، لكن لم يربطها بمبدأ نبذ التقليد.

٤. ابن كثير: اقتصر في تفسيره على الجانب القصصي وتأكيد وحدة العقيدة بين الأنبياء[٥]، دون تناول استنباط تربوي كهذا.

---

(١) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢٥١/١).

(٢) انظر: التفسير الكبير (٦٦/٤).

(٣) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (١٩٣/١-١٩٤).

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٣٧/٢).

(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم (٦٤٨/١).

**وجه انفراد البقاعي رحمه الله تعالى**

١. زاوية التناسب:

البقاعـي رحمه الله تعالى ينظر إلى الآية فـي سياقها ضمن سورة البقرة، التي تعالج قضية اتبـاع بنـي إسرائيل لما وجدوا عليه آباءهم كما في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ حَسۡبُنَا مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَـا﴾ (المائـدة: ١٠٤) فرأى أن ذكر موقف يعقوب عليه السلام فـي هذا الموضع ليس لمجرد السـرد، بل كحجة على بني إسرائيل أن أباهم الأكبر كان على التوحيد، فلا مجال للتمسك بالآباء عند مخالفتهم للحق.

٢. المنهج التربوي:

يُبرز البقاعي رحمه الله تعالى البُعد التربوي الذي يتجاوز السرد التاريخي إلى توجيه الفكر للأصل، لا للواسطة، وهو المعنى الذي لم يفصّله من قبله بهذه الصيغة.

٣. دمج العقيدة بالتناسب والتهذيب:

هـو يوظف المناسبة بين الآيات لإثبات أن الهداية لا تكون إلا باتباع أوامر الله تعالى لا اتباع الموروث.

استنبـاط البقاعي رحمـه الله تعالى يُعد منفردًا من حيث الصياغـة والمنهج؛ إذ لم يسبقه أحـد في الربط بين هذه الآية ومبدأ التحرر من تقليد الآباء بمثل هذه الصيغة المباشرة والتحليل السياقي.

قال الله تعالى: ﴿فَإِنۡ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٖ مِّنۡهُمَا وَتَشَاوُرٖ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَاۗ﴾ (البقرة: ٢٣٣)

٣-قال البقاعي: رحمه الله تعالى (وقد أفهم تمام هذه العناية، أن الإنسان كلما كان أضعف كانت رحمة الله له أكثر، وعنايته به أشد[١]).

**مضمون استنباط البقاعي رحمه الله تعالى:**

يـرى أن تفصيل الأحكام المتعلقة بالرضاعة والفصال، مع التأكيد على التراضي والتشاور، يـدل على عنايـة الله تعالى بالطفل، ومن خلال هـذا الاستقراء يستنبط قاعـدة تربوية عامة: أن رحمة الله تزداد بالضعيف، وهذا من دلائل لطفه.

عند مراجعة تفاسير السلف ومن بعدهم قبل البقاعي رحمه الله تعالى، مثل:

١. الطبري: اقتصر على الجانب الفقهي واللغوي، وبيّن معنى الفصال والتراضي والتشاور[٢]، دون أن يستنبط معنًى عامًا أو قاعدة تربوية كهذه.

---

(١) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١/ ٤٤١).

(٢) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٤/٢٣٥-٢٤٠).

٢. الماوردي والقرطبي: كلاهما اهتما بالأحكام المتعلقة بالآية، من حيث الجواز والشرط[١]، ولم يذكرا دلالة عامة عن رحمة الله تعالى بالضعفاء.

٣. الرازي: مع أنه يهتم أحيانًا بالمعاني اللطيفة، إلا أنه ركز على دقة الأحكام المستفادة من الألفاظ كـ «لا جناح» و«عن تراض»[٢]، ولم يشر إلى هذه القاعدة التربوية.

٤. البيضاوي وأبو حيان: تناولا الآية من جهة بلاغية وفقهية[٣]، ولم يذكرا دلالة على العناية الخاصة بالضعيف.

**وجه انفراد البقاعي رحمه الله تعالى:**

منهجيًا: البقاعي رحمه الله تعالى يربط الأحكام بالتناسب والسياق العام للسورة، ويستخرج معاني كلية من نسق الآيات.

تربويًا: انفرد باستخراج قاعدة تربوية عامة من تفاصيل جزئية، وهو ما لا نجده صريحًا عند من سبقه.

بلاغيًا: رأى في تفصيل أحكام الرضاعة والفصال دون غيرها، دلالة بلاغية على عناية خاصة، وهذا من فقه التناسب الذي اخ ص به.

قال الله تعالى: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ (البقرة: ٢٤١)

٤-قال البقاعي: رحمه الله تعالى (وفيه إشارة إلى أن الطلاق كالموت؛ لانقطاع حبل الوصْلة الذي هو كالحياة وأن المتاع كالإرث[٤]).

بعد تتبع أقوال أشهر المفسرين قبله، لم يُصرّح أحد بهذا المعنى الخاص الذي ذكره البقاعي رحمه الله تعالى، لكن هناك إشارات جزئية لدى بعضهم، نعرضها باختصار:

١. الطبري: فسر الآية بأن المتاع واجب للمطلقة، وذكر أقوال الفقهاء في وجوبه أو استحبابه[٥]، ولم يربط بين الطلاق والموت أو يشبّه المتاع بالإرث.

٢. القرطبي: توسّع في أحكام المتعة للمطلقة، ونقل عن العلماء تفصيلاتها[٦]، لكنه لم يشر إلى تشبيه الطلاق بالموت أو المقارنة بين المتاع والإرث.

٣. الرازي: ركّز على الجانب الجدلي والخلافي الفقهي للآية[٧]، ولم يأت بمثل هذا التشبيه

(١) انظر: النكت والعيون (١/٢٩٩-٣٠١) والجامع لأحكام القرآن (٣/١٦٠-١٦٦).
(٢) انظر: التفسير الكبير (٦/٤٦٣-٤٦٥).
(٣) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/١٤٤-١٤٥) والبحر المحيط في التفسير (٢/٥٠٧-٥٠٨).
(٤) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١/ ٤٦١).
(٥) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٤/٤٠٩-٣١٢).
(٦) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٣/٢٢٨-٢٢٩).
(٧) انظر: التفسير الكبير (٦/٤٩٤-٤٩٥).

البلاغي أو المعنوي.

٤. البيضاوي: لم يذكر هذا الوجه من الاستنباط، وإنما نقل المعاني الفقهية العامة[١].

وجه انفراد البقاعي رحمه الله تعالى:

البقاعي رحمه الله تعالى انفرد في تفسيره «نظم الدرر» بالنظر للآية من زاوية بلاغية وتربوية وتناسبية، فرأى أن الطلاق يقطع الصلة بين الزوجين كما يقطع الموت الحياة، وهذا تشبيه معنوي دقيق.

والمتاع جبر خاطر للمطلقة كما أن الإرث جبر لأهل الميت، وهو وجه جديد في الربط بين الأحكام والمقاصد.

هذا الاستنباط يدل على منهجه الخاص في استخراج المعاني من التناسب بين الآيات والمعاني الكلية للشريعة، وليس من ظاهر الـ ص فقط.

البقاعي رحمه الله تعالى يُعد منفردًا بهذا الاستنباط من حيث التركيب البلاغي والمعنوي، وربما استلهمه من روح المعنى العام في الآية، ولم يُسبق إليه بصيغته هذه فيما يظهر من كتب التفسير السابقة.

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّ﴾ (البقرة: ٢٧٥).

٥-قال البقاعي: رحمه الله تعالى (فأشار سبحانه وتعالى بذلك إلى المنع من أن تكون النفقة من حرام ولا سيَّما الربا[٢]).

إن الآية تشير إلى المنع من أن تكون النفقة من حرام، ولا سيما الربا، استنباط تربوي وسلوكي يرتبط بطهارة المال، ولم يصرّح به جمهور المفسرين قبله بنفس هذا اللفظ أو التفصيل.

**أولاً: أقوال أبرز المفسرين قبله:**

١. الطبري: ركّز على معنى التخبط والمس، وربطه بالجنون، ثم نقل أقوال السلف في تحريم الربا[٣]، لكنه لم يتعرض لمسألة النفقة من المال الحرام.

٢. الماوردي والواحدي: ذكرا أحكام الربا والتهديد لمن يتعامل به[٤]، دون استنباط سلوكي يربط الآية بمنع النفقة من الحرام.

٣. الزمخشري: ركّز على التصوير البلاغي لحال آكل الربا، وعدّه دليلاً على شدة العقوبة

(١) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١٤٨/١).

(٢) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١/ ٥٣١).

(٣) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٣٨/٥-٤٢).

(٤) انظر: النكت والعيون (٣٤٨/١) والتفسير البسيط للواحدي (٤٦٣/٤-٤٦٥).

وضعف العقل والمعاملة[1]، لكنه لم يربط بينه وبين موضوع النفقة أو طهارة المال.

٤. الـرازي: ناقش قضية الربا وحكمته، وأورد شبهات اليهود وردّ عليها[2]، لكنه لم يُشِر إلى موضوع النفقة من الحرام.

٥. القرطبـي: هـو من أكثر مـن توسع، فنقل عن بعض السلف أن أكل الربـا يؤثر في العقل والديـن، وأنـه من أسباب سوء المآل عنـد الموت والبعث[3]، لكنه لم يربـط ذلك بضرورة طهارة المال المنفَق.

٦. ابـن كثير: سار على نهج الطبري، فذكر تشبيـه آكل الربا بالمجنون يوم القيامة[4]، لكنه لم يستنبط منع النفقة من الحرام من هذه الآية بالذات.

**وجه انفراد البقاعي رحمه الله تعالى:**

انفـرد البقاعـي رحمه الله تعالى بأن ربـط الآية استنباطيًا بطهارة المـال المنفَق لا مجرد تحريم الربا.

واستخرج من الآية تلميحًا سلوكيًا، أن المال الحرام يُفسد حال الإنسان، فلا يكون أهلاً لأن يُتقرّب به إلى الله تعالى.

وهذا يأتي من منهجه في الربط بين السلوك والظاهر القرآني، وخاصة من خلال التناسب، فهـو يـرى أن العقاب علـى الربا لا ينحصر فـي الآخرة، بل يمتـد أثره إلى خلل في قيـام الإنسان وسلوكه، فلا يكون المال الناتج عنه مؤهلاً للنفقة المقبولة.

**المطلب الثاني: سورة آل عمران والنساء والمائدة والأنعام.**

قال الله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ﴾ (آل عمران: ٤٠)

٦- قـال البقاعي: رحمه الله تعالـى (﴿غُلَٰمٌ﴾ وفي تعبيره به في سياق الحصور، دليل على أنـه فـي غاية ما يكون من صحة الجسم وقوته، اللازم من شـدة الداعية إلى النكاح، وهو مع ذلك يمنع نفسه منه منعاً زائداً على الحد؛ لما عنده من غلبة، لا شهود اللازم منه الإقبال على العبادة بكليته، والإعراض عن كل ما يشغل عنها جـ لا سيما النكاح، بحيث يظن أنـ لا إرب له فيه[5]).

لـم أقف على من سبق البقاعـي رحمه الله تعالى إلى هذا الاستنباط بهذا التفصيل والدقة، والمفسـرون السابقون له غالباً تناولوا لفظ «غـلام» إما من جهة دلالته على الذرية أو كونه تعبيرًا

(١) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (١/ ٣٢٠-٣٢١).
(٢) انظر: التفسير الكبير (٧/ ٧٢-٧٨).
(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٣/ ٣٥٤-٣٥٥).
(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم (٢/ ٢٧٨-٢٧٩).
(٥) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢/ ٧٧).

عـن المفارقـة بين حـال الشيخوخة ومقام الولـد، وليس باعتبـاره دالاً على قـوة الشهوة وسلامة الجسد رغم الحصر.

١. الطبـري: ركّـز علـى استبعاد زكريا لحـدوث الولد لكونـه شيخًا وامرأته عاقـرًا[١]، دون التطرق لدلالة «غلام» على الشهوة أو القوة.

٢. الزمخشري: بيّن أن سؤال زكريا من باب الاستعلام عن الكيفية[٢]، ولم يتوقف عند دلالة لفظ «غلام» من حيث الصحة أو الداعية.

٣. الرازي: اهتم بالجانب العقلي من المعجزة وتفسير «أنى»[٣]، ولم يتطرق إلى تحليل دلالة كلمة «غلام» من هذه الزاوية.

٤. القرطبي: تناول المعنى اللغوي والعقلي للآية، وذكر استبعاد الولد عادةً[٤]، ولم يربط بين لفظ «غلام» وبين الصحة الجسدية أو داعي النكاح.

٥. ابـن كثير: ذكر القصة كما هي، مع تأكيد المعجزة[٥]، دون الـ ـض في معنى «غلام» من هذه الناحية.

**وجه انفراد البقاعي رحمه الله تعالى:**

١. زاويته السياقية والبلاغية: ربط البقاعي رحمه الله تعالى بين لفظ «غلام» وسياق وصف يحيـى بـ «الشيخ الحصـور»، فاستنتج من ذلك أن يحيى كان سليم الجسد قوي الداعية، ولكن الله تعالـى حبسـه عن النسـاء قهرًا، فكان الحصر قهريًـا لا عجزًا، وهذا تعبير عـن كمال انقياده لله تعالى.

٢. تحليله اللفظي النفسي: البقاعي رحمه الله تعالى استخرج من مجرد اختيار كلمة «غلام» دون غيرهـا مثل «ولد» أو «صبي» ما يدل علـى تمام الذكورة والنضج والقوة، وهذه زاوية فريدة لم يلتفت إليها من قبله.

البقاعـي رحمه الله تعالى انفرد بهذا الاستنباط في ضـوء منهجه في التناسب، ولم يسبقه إليه أحد بحسب تتبع أقوال كبار المفسرين، ووجه انفراده أنه جمع بين الدلالة اللفظية والسياقية والنفسية والشرعية من خلال لفظ واحد، بما يعكس عمق بلاغي وتربوي مميز.

قال الله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَسْـتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًـا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن

(١) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٥/٣٨١).
(٢) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (١/٣٦٠).
(٣) انظر: التفسير الكبير (٨/٢١٣-٢١٤).
(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٤/٧٩-٨٠).
(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم (٢/٣٤٤).

مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِكُمۚ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ﴾ (النساء: ٢٥)

٧- قال البقاعي: رحمه الله تعالى «لكن في التعبير به وبالوصـ لا بالفعل، إرشاد إلى مزيد التحري من جهة الدين، فاظفر بذات الدين، تربت يداك[١]».

بعد تتبع أقوال من سبق البقاعي رحمه الله تعالى من المفسرين، نجد أن:

١. الطبري: ركّز على تفسير معاني الكلمات (الطول، المحصنات، ما ملكت أيمانكم)، وبيّن أن الإشارة إلى المحصنات المؤمنات دليل على تفضيل نكاحهن[٢]، لكنه لم يتطرق إلى بلاغة الوصف مقابل الفعل.

٢. الزمخشري: أشار إلى وصف المؤمنات لبيان الشرط في النكاح الشرعي[٣]، لكنه لم يربطه بالتحري الديني التربوي.

٣. الرازي: اهتم بالجانب الفقهي والتساؤل عن جواز نكاح الإماء[٤]، ولم يستوقفه التعبير البلاغي هنا.

٤. القرطبي: فسّر الآية تفسيرًا فقهيًا وسلوكيًا[٥]، لكنه لم ينبه على الفرق بين التعبير بالوصف مقابل التعبير بالفعل.

لم أقف على من سبق البقاعي رحمه الله تعالى في هذا التنبيه البلاغي تحديدًا، ما يرجح انفراده به أو على الأقل تفرده بتسليط الضوء عليه بهذا الأسلوب.

**وجه انفراده بهذا الاستنباط:**

البقاعي رحمه الله تعالى يتعامل مع التناسب والتعبير القرآني على أنهما مفاتيح لاستنباط الهدي التربوي والسلوكي، ولهذا يعير اهتمامًا كبيرًا لصياغة الآية لا لمجرد معناها.

تفرده هنا نابع من دمجه بين البلاغة اللفظية والمقصد التربوي، وهذا أسلوب خاص في تفسيره.

قال الله تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُكَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيۡهِمۡ كِتَٰبٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ (النساء: ١٥٣)

٨- قال البقاعي: رحمه الله تعالى (إشارة إلى أن العالم ينبغي له أن يكون أبعد الناس من

(١) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢/ ٢٣٦).
(٢) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٦/٥٩١-٦٠١).
(٣) انظر: الكشاف عن حقائق غوامـ ن التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (١/٥٠٠).
(٤) انظر: التفسير الكبير (١٠/٣٤-٣٥).
(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٥/١٣٩).

التمويه فضلاً عن الكذب الصريح[1]).

عنـد تتبع أقـوال المفسريـن السابقيـن للبقاعي رحمهـم الله تعالى كابن جريـر الطبري، والمـاوردي، والرازي، وابن عطية، والقرطبي، وابن كثير، نجد أن غالب تفسيرهم للآية كان يدور حول:

بيان عناد أهل الكتاب في طلب ما لا يُطلب عادة، تعنتًا لا طلبًا للهدى، وذكر نظير هذا الطلب مـن بنـي إسرائيل لموسى أن يـروه جهرة، أو أن يروا الكتاب نازلاً مـن السماء دفعة واحدة، وبيان مقاصدهـم الفاسدة في ذلك، وعدم استعدادهم للإيمان أصـلاً، واستدلال بعضهم بأن هذا مما يدل على تكبرهم واستكبارهم على الحق.

لكن لم يظهر في كلامهم استنباط سلوكي مباشر يربط بين هذه القصة وبين أخلاق العالم المسلم، كما فعل البقاعي رحمه الله تعالى.

**وجه انفراده بالاستنباط:**

البقاعي رحمه الله تعالى ينفرد بهذا الاستنباط من عدة وجوه:

١. نقلة نوعية من القصص إلى الأخلاق التربوية، فهو لم يقف عند وصف الحدث التاريخي، بل استثمره لإرساء قيمة سلوكية خاصة بالعالم والداعية.

٢. ربـط بين حال أهل الكتـاب والعالم المسلم، فرأى أن تمويههـم كان من دواعي الهلاك، فحذّر العالم من ذلك.

٣. اعتمـاده علـى التناسب، فهو يـرى أن المناسبة بين السياق وما بعـده تُشير إلى مسؤولية العلماء في البيان والصدق، بخلاف حال من تقدم.

انفـرد البقاعـي رحمه الله تعالـى باستنباطه هذا من زاويـة تربوية تربط بيـن سلوك أهل الكتـاب وسلـوك العالم المسلم، ولم يسبقه أحد من كبار المفسرين إليه -فيما يبدو-، وهذا يؤكد تميز منهجه في الاستنباط من التناسب بين الآيات، وتحويل الوقائع القرآنية إلى موجهات سلوكية معاصرة.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَاحَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ (الأنعام: ١٥١)

٩-قال البقاعي: رحمه الله تعالى (فبدأ بالتوحيد في صريح البراءة من الشرك، إشارة إلى أنَّ التخلي عن الرذائل قبل التحلي بالفضائل، فإن التقية بالحمية قبل الدواء[2]).

لـم أجد من المفسرين المتقدمين من صرح بهذا الاستنباط التربوي بهذا اللفظ أو المعنى

(١) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢/ ٣٤٥).

(٢) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢/ ٧٤١).

المجازي (الحمية قبل الدواء)، ولكن هناك إشارات قريبة عند بعضهم إلى «ترتيب المقامات» أو «التدرج في التكليف»، لكنها لم تُربط بهذه القاعدة التربوية.

١. الطبـري: ركّـز علـى تفسير الألفاظ، فبيّـن أن الله تعالى ابتدأ بالنهي عـن الشرك؛ لأنه أعظم المحرمات، ولم يـ رض لترتيب التخلية والتحلية، بل على مقتضى ترتيب الكبائر.

٢. المـاوردي والزمخشـري: ذكـرا أن الآيات تضمنـت أصول المحرمـات أو قواعد الشرع، وبدأها بالنهي عن الشرك؛ لأنه أعظم الذنوب[١]، ولم يصرحا بالربط التربوي.

٣. الـرازي: قال: إن الآية جمعت المنهيات عن المفاسد في العقيدة، والمعاملات، والآداب، وبدأت بالأعظم فالأدنى[٢]، لكنه لم يربط هذا بـ«التخلية قبل التحلية».

٤. القرطبـي: أطال في شرح المحرمـات وعلل البداءة بالشرك لكونـه أعظم[٣]، ولم يذكر البُعد التربوي المجازي.

٥. ابن كثير: فسّر الآية كتلخيص للوصايا العشر، وعلل تقديم الشرك بعظمته[٤]، ولم يذكر الاستنباط التربوي المجازي.

**وجه انفراد البقاعي رحمه الله تعالى:**

البقاعـي رحمه الله تعالى لم يكتف بالقول إن الشـرك أعظم، بل استنبط من ترتيب الآيات قاعـدة تربويـة عامة: «أن التخلـي عن الرذائل مقدَّم علـى التحلي بالفضائل»، وهـو ما يُعرف في التربية والسلوك باسم «التخلية قبل التحلية»، ثم مثّله بالطب المجازي: «الحمية قبل الدواء»، وهي صورة نادرة في كتب التفسير.

هـذا النوع مـن الربط بين الترتيب القرآنـي والسلوك التربوي نـادر، ويُعد من خصوصيات البقاعـي رحمه الله تعالى في منهجه التناسبي والاستنباطـي، حيث ينتقل من ظاهر الترتيب إلى قاعدة سلوكية/نفسية.

انفـرد البقاعـي رحمه الله تعالى بهذا الاستنباط في هذه الآيـة، ولم يُسبق إليه صراحة من المفسرين.

المفسـرون قبله اكتفوا بتعليل التقديم بالأعظمية، بينمـا البقاعي رحمه الله تعالى استنبط قاعدة تربوية وجعلها مفتاحًا لفهم منهج القرآن في التدرج.

---

(١) انظر: النكت والعيون (١٨٥/٢) والكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (٧٨/٢-٧٩).

(٢) انظر: التفسير الكبير (١٢/ ١٧٧).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٣٠/٧-١٣١).

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم (٦٣٣/٣).

**المطلب الثالث: سورة الأعراف والأنفال والتوبة.**

قال الله تعالى: ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (الأعراف: ٢٢)

١٠-قال البقاعي: رحمه الله تعالى (فالآية منبِّهة على أنَّ من غوى[١] فإنما هو تابع لأعدى أعدائه تارك لأولى أوليائه[٢]).

لم أقف على مفسر صرّح بنفس هذه الصيغة أو هذا الجمع قبل البقاعي رحمه الله تعالى، ولكن هناك إشارات في تفسير السلف والتابعين وأهل التفسير تشير إلى بعض أصول هذا المعنى، ومن أبرز ما يمكن مقارنته:

١. الطبري: ركز على المعنى الظاهري: أن إبليس غرّ آدم وزوجه، فأكلا من الشجرة، فبدت لهما سوءاتهما[٣]. ولم يشر إلى دلالة سلوكية تتعلق باتباع العدو مقابل الولي.

٢. الرازي: ذكر أن إبليس دلّهما على وجه فيه إظهار النصح، لكنه في الحقيقة غرّر بهما، وذكر مفارقة «عدو يزين»[٤]، لكنه لم يربط ذلك بكون الغاوي يترك وليه ويتبع عدوه.

٣. القرطبي: أشار إلى أن الآية فيها تحذير من اتباع الغرور ومخادعة الشيطان[٥]، لكنه لم يصرّح بأن الغاوي إنما يتبع أعدى أعدائه ويترك أولى أوليائه.

**وجه انفراد البقاعي رحمه الله تعالى**

انفراد البقاعي رحمه الله تعالى في هذا الموضع يأتي من مزجه بين التناسب بين المقطع وبين سياق السورة في تحذير بني آدم من الشيطان.

الاستنباط التربوي: حين اعتبر أن هذه الآية قاعدة سلوكية عامة في كل من يضل، فهو يتبع عدوه ويتخلى عن وليه (وهذا بناء مقاصدي)، وصياغة تأملية تحمل رسالة وعظية تربوية بليغة.

قال الله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ (الأعراف: ١٢١-١٢٢)

١١-قال البقاعي: رحمه الله تعالى (وفي الآية دليل على أن ظهور الآية موجب للإيمان عند من ظهرت له، ولو أن الرسول غير مرسل إليه[٦]).

---

(١) ضل واتبع خلاف الرشد. انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٦/٢٤٥٠) ومعجم مقاييس اللغة (٤/٣٩٩) ولسان العرب (١٥/١٤٠).

(٢) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٣/ ١٨).

(٣) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١٠/١١٠).

(٤) انظر: التفسير الكبير (١٤/٢٢٠).

(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٧/١٨٠).

(٦) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٣/ ٨٤).

**أقوال المفسرين قبله:**

١. الطبـري: قـال «إنما قالوا آمنا بـرب موسى وهارون، لأنهم عرفـوا أن الذي أرسل موسى بالمعجـزات لا يكـون إلا رب العالمين[١]». ولم يشر إلى مسألـة وجوب الإيمان عند ظهور الآية ولو لم يُرسل إليهم الرسول.

٢. الـرازي: ذكر أن إيمان السحرة كان بسبب المعجزة، وقال: «المعجزة تدل على الصدق، فآمنوا بها[٢]». لكنه لم يصرّح بحكم الإيمان لمن ظهرت له المعجزة من غير المرسل إليهم.

٣. القرطبي: قال «إنما آمنوا برب موسى لهول ما عاينوا من انقلاب العصا حيّة[٣]».

ولم يـ ـض لمسألة وجوب الإيمان بمجرد ظهور الآية لغير المرسل إليهم.

**وجه انفراد البقاعي رحمه الله تعالى**

يبدو أن البقاعي رحمه الله تعالى انفرد بهذا الاستنباط من جهتين:

١. النظـر التربوي والسلوكي المتعلـق بآثار المعجزة: ربط بين ظهور الآية (المعجزة) وبين وجوب الإيمان، وهذا منظور تربوي دقيق.

٢. استنباط حكم عقدي أو أصولي من سياق حكاية حال: لم يتوقف عند وصف حال السحرة، بل استنبط حكمًا عامًّا، وهو أن الإيمان واجب على من ظهرت له الآية، ولو لم يكن الرسول مرسلًا إليه.

قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ (الأنفال: ٢٩)

١٢-قـال البقاعي: رحمه الله تعالى (وختم هذه الآية بالفضل على ما كان من نقص، إشارة إلى تفضيله سبحانه بما رزق أهل الإسلام من علو المنزلة، وانتشار الهيبة وفخامة الأمر في قلوب المخالفين كما هو مشاهد[٤]).

بعد تتبع أقوال من سبق البقاعي رحمه الله تعالى من المفسرين الكبار، مثل:

١. الطبـري: فسر «الفرقان» بأنه النجاة والمخرج، أو النور، أو البيان[٥]، ولم يتطرق إلى أثر الهيبة في قلوب الأعداء كاستنباط من ختم الآية بالفضل.

---

(١) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١٠/٣٦١).

(٢) انظر: التفسير الكبير (١٤/٣٣٧).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٧/٢٦٠).

(٤) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٣/ ٢٠٩).

(٥) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١١/١٢٧).

٢. المـاوردي: ذكر أوجهًا في الفرقان، منها: النصر، والنجاة، والبيان[١]، ولم يربط الفضل بعلو شأن المسلمين عند أعدائهم.

٣. الرازي: فسر الفضل بأنه الهداية والتوفيق[٢]، ولم يربط الآية بالمهابة أو العزة الظاهرة.

٤. القرطبـي: ذكر أقوالًا في الفرقان أيضًا، وربـط الفضل بمغفرة الذنوب[٣]، لكنه لم يذكر أثر الهيبة أو العزة.

٥. ابـن كثير: فسر الفرقان بأنه مخرج ونجاة، ثم قال: إن الفضل يشمل التوفيق والنصر[٤]، لكنه لم يذكر المعنى الذي استنبطه البقاعي رحمه الله تعالى.

هـذا الاستنبـاط غالب الظن أن البقاعي رحمه الله تعالى قد انفرد به، إذ لم يُعرف في كتب التفسيـر قبلـه من ربط ختـم الآية بالفضل بما آل إليـه حال المسلمين من فخامـة الأمر وانتشار الهيبة في قلوب المخالفين كنتيجة للتقوى.

**وجه انفراده بالاستنباط**

منهجـه الخاص: البقاعـي رحمه الله تعالـى ينفرد باستنباطـات ناتجة عـن التناسب بين الآيات، وخاصية تأمل خواتيم الآيات وربطها بسياق السورة الكلي.

رؤيتـه المقاصدية: يرى أن فضل الله تعالى هنا ليـس مجرد نعمة فردية، بل هو فضل أممي انعكس على مهابة الجماعة المؤمنة في قلوب أعدائهم، وهذا توجه مقاصدي قلّ من تنبه له.

استحضـاره للواقـع: حين يقول «كما هو مشاهـد»، فإنه يوظف الواقع كدليـل مكمّل لتفسير النص، وهو نهج فريد في التفاسير التقليدية.

قال الله تعالى: ﴿كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ فَأَهۡلَكۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡ وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَۚ وَكُلّٞ كَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴾ (الأنفال: ٥٤)

١٣- قـال البقاعـي: رحمـه الله تعالـى (وإشارة إلـى أنهم نَسُـوا أنَّ الرب كمـا أنه يتصف بالرحمة، فلا بد أن يتصف بالعظمة والنقمة، وإلا لم تتم ربوبيته[٥]).

بعـد تتبّع أقوال أبرز المفسرين قبله، لا يظهر أن أحدًا عبّر عن هذا المعنى بهذا التركيب أو التأصيل:

١. الطبـري: اقتصر على المعنى الظاهر: أن الله أهلكهـم بسبب ذنوبهم وتكذيبهم[٦]، ولم

(١) انظر: النكت والعيون (٢/٣١١).
(٢) انظر: التفسير الكبير (١٥/٤٧٧).
(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٧/٣٩٦).
(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم (٤/١٨٧).
(٥) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٣/ ٢٣٢).
(٦) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١١/٢٣٤).

يشر إلى مسألة كمال الربوبية من جهة اجتماع الرحمة والنقمة.

٢. المـاوردي والثعلبـي: ساروا على المعنى التفسيري الظاهـر: أن الكفار فعلوا كما فعل من قبلهم فكذبوا فاستحقوا الهلاك[١]. ولم يذكروا بُعدًا عقديًا أو تربويًا.

٣. الزمخشـري: ركّـز على الفصاحة والبلاغة فـي التعبير بـ«كدأب»[٢]، ولكنـه لم يُشر إلى جانب تكميل صفة الربوبية.

٤. الـرازي: مع كثـرة استطراداتـه الكلامية، لم يتعرّ ـض لهذا الوجه، بل ركّـز على معاني العقوبة والذنوب[٣].

٥. القرطبـي: ذكر أن الآيـة تدل على سنن الله تعالى في الأمـم[٤]، لكنه لم يتعرض لتكميل صفات الرب.

٦. ابـن كثير: نقل الآثار عن هلاك الأمم السابقـة، وعلّق على سنن الله تعالى فيهم[٥]، دون إشارة لمعنى توازن الرحمة والنقمة في كمال الربوبية.

**وجه انفراد البقاعي رحمه الله تعالى**

الوجه الأول: شموليته العقدية: ربط البقاعي رحمه الله تعالى بين صفات الرب، وجعل كمال الربوبية قائمًا على توازنها.

الوجـه الثانـي: البعد التربوي التحذيري: نبّه إلى أن الغفلة عـن جانب النقمة تسبب هلاكًا، كما أن الرجاء بلا خوف يوقع في الأمن من مكر الله تعالى.

الوجه الثالث: تناسب السياق: جاء هذا الاستنباط في سورة الأنفال، التي يغلب عليها وصف الجهاد والعداوة، فناسبها التنبيه إلى كمال القوة والنقمة الإلهية.

استنبـاط البقاعي رحمه الله تعالى جديد في طبيعتـه وميدانه، فهو ليس مجرد تأمل بل هو تأصيـل عقـدي متكامل ينبني عليه تصحيـح تصور العبد عن صفات الله تعالـى، وضرورة الجمع بيـن الرجـاء والخوف، وقد خلت تفاسير من سبقه من هذا التأصيـل، مما يجعل استنباطه فريدًا ومميزًا.

قال الله تعالى: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ (التوبة: ١)

١٤-قـال البقاعـي: رحمـه الله تعالى (وجعل الرسـول صلى الله عليه وسلم مـع الله تعالى،

(١) انظر: النكت والعيون (٣٢٧/٢) والكشف والبيان عن تفسير القرآن (٣٦٨/٤).
(٢) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (٢٢٩/٢).
(٣) انظر: التفسير الكبير (٤٩٥/١٥).
(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٢٩/٨).
(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم (٢٢١/٤).

إشارة إلى أن لا يخالفه أصلاً[1]).

بعد تتبع أقوال المفسرين السابقين للبقاعي رحمه الله تعالى، لم أقف على نص صريح في كتبهم يدل على هذا المعنى بنفس الوضوح الذي ذكره البقاعي رحمه الله تعالى.

مثال على ذلك:

١. الطبري: فسّر الآية بأن البراءة هي من الله ورسوله[2]، ولم يذكر دلالة الاشتراك في الحكم على وحدة الموقف أو امتناع المخالفة.

٢. الماوردي: أشار إلى أن البراءة تضمنت التبليغ من الرسول[3]، لكنه لم يستنبط دلالة على عدم مخالفة الرسول لله.

٣. الزمخشري: ركز على الأسلوب البلاغي والعدول عن الفعل إلى المصدر[4]، ولم يستخرج هذا الاستنباط.

٤. الرازي: تعرض للبلاغة والفروق في الإسناد[5]، لكنه لم يستنتج هذا المعنى.

٥. القرطبي: ركز على معنى البراءة وتبليغ النبي للبراءة[6]، دون ربط ذلك بدلالة على الامتثال التام.

٦. ابن كثير: نقل عن السلف في أن البراءة من الله والنبي بلغها[7]، دون الاستنباط البلاغي الذي ذكره البقاعي رحمه الله تعالى.

**وجه انفراد البقاعي رحمه الله تعالى**

انفراد البقاعي رحمه الله تعالى راجع إلى:

١. منهجه الخاص في ربط المعاني العقدية والسلوكية بالأسلوب البلاغي والنظم؛ فهو لا يكتفي بالمعنى الظاهر بل ينفذ إلى ما يدل عليه النظم من إشارات سلوكية وتربوية.

٢. عنايته الفائقة بالتناسب بين أجزاء الآية وتقديم بعضها على بـ ضـ، ومن هنا فهم أن الجمع بين الله ورسوله في «براءة» يدل على وحدة الإرادة والموقف.

٣. استخدامه لنظرية «مقام الجمع والفصل» البلاغية؛ فالجمع هنا فيه دلالة على عدم وجود خلاف أصلاً.

---

(١) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٣/ ٢٦١).

(٢) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٣٠٣/١١).

(٣) انظر: النكت والعيون (٣٣٧/٢).

(٤) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (٢٤٢/٢).

(٥) انظر: التفسير الكبير (٥٢٢/١٥-٥٢٣).

(٦) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٦١/٨-٦٣).

(٧) انظر: تفسير القرآن العظيم (٢٤٤/٤).

استنبـاط البقاعي رحمه الله تعالى بأن إشراك الرسـول مع الله تعالى في البراءة يدل على أنـه لا يخالفـه أصلاً يُعد مـن استنباطاته الخاصة الدقيقة، ويدل على عمـق نظره في الربط بين البلاغـة والسلـوك والتوحيد، ولم يسبقه إليه حسب المتاح مـن التفاسير أحد بهذا اللفظ أو هذا المعنى، مما يؤكد انفراده به ضمن منهجه المميز في نظم الدرر.

١٥-قال الله تعالى: ﴿فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ (التوبة: ٣٥)

قال البقاعي: رحمه الله تعالى (وأشار بفعل الكون إلى أنهم مجبولون على ذلك)[١].

عنـد مراجعة تفاسير المتقدمين، مثل: الطبري والماوردي والرازي والقرطبي والزمخشري وابـن عطية والبيضاوي، ولم أجد من نصّ صراحة على هذا المعنى المتعلق بـ الإشارة إلى الجِبِلّة والطبع من خلال فعل الكون.

معظمهم ركزوا على عِظَم العقوبة وجزاء من يكنز ولا ينفق وتفصيل الكنز والزكاة مثلاً:

قـال الرازي: رحمه الله تعالـى ﴿كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ (التوبـة: ٣٥) أي تفعلون هذا الفعل قبل ورود النهي[٢]».

وقال القرطبـي: رحمه الله تعالى ﴿كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ (التوبـة: ٣٥) إشارة إلى استمرارهم على ذلك دون إخراج الزكاة[٣]».

لكنهم لم يُصرّحوا بأن فعل الكون يدل على الجِبِلّة أو الطبيعة المغروسة.

وجه انفراد البقاعي رحمه الله تعالى

وجـه الانفـراد: انتقل البقاعي رحمه الله تعالى من دلالة الفعـل (كان) إلى تشخيص الطبع النفسي، وهو مستوى أعمق من مجرد بيان استمرار الفعل.

البقاعي رحمه الله تعالى انفرد بهذا الاستنباط فيما اطلعت عليه، إذ لم ينبه غيره إلى دلالة «كنتم تكنزون» على الجِبِلّة والطبع.

**الخاتمة:**

تشتمل على أهم النتائج وأبرز التوصيات التي توصلتُ إليها في هذا البحث.

يُعـد كتاب «نظم الـدرر في تناسب الآيات والسور» للإمام برهـان الدين البقاعي رحمه الله تعالـى من أبـرز الكتب التي تناولت تناسب الآيات والسور في القـرآن الكريم، حيث تميز البقاعي رحمه الله تعالى بمنهج فريد في استنباط العلاقات بين الآيات والسور.

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢/ ٣٠٦).

(٢) انظر: التفسير الكبير (١٦/ ٤٠).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٨/ ١٣٠-١٣١).

**أهم النتائج:**

١- الجانب المقاصدي: التركيز على المقاصد الكلية للسور، يرى البقاعي رحمه الله تعالى أن كل سورة لها غرض رئيسي، وتناسب الآيات داخلها يعكس هذا الغرض. مثلاً، في سورة الفاتحة، يرى أن مقصودها الأصلي هو إثبات استحقاق الله للعبادة والاستعانة، وكل آية فيها تُبنى على هذا الأساس.

٢-الربط بين أسماء السور ومقاصدها: سورة البقرة التي سماها «أساس القرآن» لأنها تتناول التشريعات الأساسية للأمة، وسورة آل عمران التي تركز على الحوار مع أهل الكتاب.

٢- الجانب التربوي: سورة البقرة: يربط البقاعي رحمه الله تعالى بين بدايتها (المثل الأعلى للمتقين) ونهايتها (الدعاء بالهداية)، مؤكدًا أن السورة تُعَلِّم المؤمنين الاستقامة والتقوى عبر القصص والأحكام.

٣- الجانب التناسب: سورة آل عمران: يرى البقاعي رحمه الله تعالى أن تناسبها يأتي من الحوار مع أهل الكتاب وإثبات نبوة محمد ﷺ، حيث تترابط الآيات في دحض الشبهات.

٤. العلاقة بين السور المتتالية: الفاتحة والبقرة: يرى البقاعي أن الفاتحة تمهيد للبقرة، فالأولى تُثبت أصول الإيمان، والثانية تُفصِّل التشريعات العملية.

الأنفال والتوبة: يعتبرهما وحدة واحدة، حيث تُختتم الأنفال بالحديث عن الغنائم، وتبدأ التوبة بقطع العلاقة مع المشركين، مما يدل على اتساق الموضوع.

**التوصيات:**

١. أهمية النظر إلى السور كوحدة متكاملة وليس كآيات منفصلة.

٢. الربط بين أسماء السور ومقاصدها لفهم تناسبها.

٣. دراسة البسملة والفاتحة كمدخل لفهم القرآن كله.

٤. الاهتمام بالسياق التاريخي والموضوعي في تفسير السور مثل الأنفال والتوبة.

٥. الاستفادة من منهج البقاعي رحمه الله تعالى في الربط بين السور المتتالية لاستنباط الحِكَم التشريعية.

**فهرس المصادر والمراجع**

١-الأعلام لخير الدين بن محمود الزركلي، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر مايو ٢٠٠٢ م

٢-البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع لمحمد بن علي الشوكاني، الناشر: دار المعرفة -بيروت

٣-البحر المحيط في التفسير لمحمد بن يوسف، الشهير بأبي حيان الأندلسي، الناشر: دار الفكر - بيروت، عام النشر: ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م

٤-التفسير البسيط لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، أصل تحقيقه: (١٥) رسالة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، الناشر: عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ.

٥-التفسير الكبير لأبي عبد الله محمد بن عمر الملقب بفخر الدين الرازي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ.

٦-الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.

٧-الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

٨-الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لمحمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، ضبطه وصححه ورتّبه: مصطفى حسين أحمد، الناشر: دار الريان للتراث بالقاهرة - دار الكتاب العربي ببيروت، الطبعة: الثالثة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

٩-النكت والعيون لأبي الحسن علي بن محمد، الشهير بالماوردي، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان.

١٠-أنوار التنزيل وأسرار التأويل لناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر البيضاوي، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ.

١١-برهان الدين البقاعي في تفسيره دلالة البرهان القويم، لعبد الله بن عبد الرحمن الخطيب، جامعة الشارقة- كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، الإمارات العربية المتحدة، المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل، المجلد السادس -العدد الثاني- ٢٦ ١٤٥ه ( ٢٠٠٥ م).

١٢-تفسير القرآن الـ ظيم لابن كثير، المحقق: حكمت بن بشير بن ياسين، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع - السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٣١ هـ.

١٣-جامع البيان عن تأويل آي القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان - القاهرة، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

١٤-لسان العرب لابن منظور، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.

١٥-الكشف والبيان عن تفسير القرآن لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، تحقيق: الإمام أبـي محمد بن عاشور، الناشر: دار إحياء التـراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ - ٢٠٠٢ م.

١٦-معجـم حفـاظ القرآن عبر التاريـخ لمحمد محمد محمد سالم محيسـن، الناشر: دار الجيل - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

١٧-معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.